

الدور السوسيولوجي للكتابات النسوية الجزائرية

The sociological role of the Algerian feminist literature

أ(ة).جلال فاطمة زهرة

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف-الجزائر

الملخص:

تبرز هذه المقالة طبيعة الكتابة النسائية الجزائرية والوظيفة السوسيولوجية لها، حيث ظهرت على الساحة الأدبية والفكرية أدبيات وشاعرات وكاتبات كنّ يدعون إلى ضرورة الاطلاع على مسار الحياة الاجتماعية وتفحص مشكلاتها وآليات لعلاجها عن طريق القلم والكتابة وقد عبّرن فيها من أعماقهن عن مجريات الحياة وتنوعت في كتابتهن ومواقعهن لتشمل مختلف مجالات الحياة فعالجن قضايا ذاتية واجتماعية وتاريخية وثقافية.

الكلمات المفتاحية: الكتابة النسائية الجزائرية، الوظيفة السوسيولوجية، قضايا ذاتية واجتماعية.

Abstract:

This paper reveals the nature of the Algerian feminist writings and their sociological function. There were women novelists and poets who rose and were focusing in their writings on the social life and the different social problems facing people in order to find solutions through their writings. They have tackled different social sides and wrote about personal, historical and cultural issues.

Key words: Algerian feminist writings, sociological function, personal and social issues

مقدمـة:

إنّ المرأة الجزائرية تلقت تشجيعا على التعلم وتطوير حياتها الاجتماعية متجاوزة القيود التي تعيقها على النهضة والتطور، فتجاوبت آنذاك مع الحركة الإصلاحية النسوية الجزائرية والتي كان أعلامها أكثر الثقافتا إلى حال المرأة جوهريا.

فهذه الجهود كونت أدبيات شاعرات ظهرت على الساحة الأدبية والفكرية وكانت تدعو إلى ضرورة الاطلاع على مجريات الحياة، وهناك عدة عوامل ساعدتها على الكتابة وكان من خصائصها التميز والخصوبة، كما ساهمت في تحديد طبيعة مواضيعها، وإن معظم ما يرى في الكتابة النسائية أن معظمها يتضمن معالجة قضايا ذاتية واجتماعية وتاريخية وثقافية، والسؤال المطروح في هذه المداخلة: ما طبيعة الكتابة النسائية الجزائرية؟ وماهي الوظيفة السوسيولوجية للكتابة النسوية الجزائرية؟

تمهيد:

إن المرأة الجزائرية في الوقت الحديث تدخلت بقوة فكرها ودعوة إلى تطورها في مجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وهذا ما سمح لها أن تتماشى مع التطور الحضاري والتكنولوجي وتتجاوز كل المعوقات والصعوبات التي تواجهها وتبرز مكانتها على الواقع الاجتماعي وهذا بفضل التعلم ومواكبة ثقافة مجتمعتها ومن المجالات التي حظيت بها المجال الثقافي مجال الأدب والكتابة، فظهرت

على الساحة الأدبية والفكرية أدبيات وشاعرات وكاتبات كانت تدعو إلى ضرورة الاطلاع على مسار الحياة الاجتماعية وتتفحص مشكلاتها وآليات علاجها عن طريق القلم والكتابة تعبر فيها من أعماقها عن مجريات الحياة وتنوعت في كتابتها ومواضيعها تشمل مجمل مجالات الحياة عالجت فيها قضايا ذاتية واجتماعية وتاريخية وثقافية.

"وتعد الكتابة النسوية بالجزائر حديثة نسبيا إذا ما قورنت بالكتابة الأدبية الجزائرية وتاريخ ظهورها عموما حيث تعود حقبة ذلك إلى فترة الخمسينات ورغم قصر وحدائة هذا النوع الأدبي فان دوره في تطور الأدب الجزائري بصفة عامة صار ايجابيا ومحوريا، وأدلة ذلك بروز كتابات وأعمال أحلام مستغانمي وربيعة جلطي وزينب الأعوج وغيرهن من الكتابات والأدبيات اللواتي شكلن كتابتهن استمرار لأدب مازال يتطور ويتوسع مع مرور السنوات خاصة مع فوزهن بالعديد من الجوائز العربية والدولية " (1)

"وإن النص الأدبي النسوي في الجزائر أخذ مكانه في المشهد الثقافي العربي، وانتزع الجوائز والمراتب الأولى سواء من خلال جيل ما بعد السبعينات كالرواية والقصة زهور ونيسي المرحومة زليخة السعودي مبروكة بوساحة المرحومة صفية كتو، آسيا جبار أحلام مستغانمي، نفيسة الأحراش، زهرة ديك وأمال بشير

¹ حينما تنبثق الإشكالية من ثنايا الإبداع: الكتابة الأدبية النسوية الجزائرية، التاريخ السبت

2013/08/31، إعداد فريدة بوران maoiohbi cahtob joomlo

الموقع الالكتروني: [http:// www-el.hakaek.com/index.php](http://www-el.hakaek.com/index.php)

فهؤلاء بلغن مستوى عاليا سيما في الرواية وتحصلت بعضهن على أحسن الجوائز واحتلن المراتب الأولى. " (1)

ومنه نجد أن الكتابة النسوية كان لها دور كبير على الساحة الثقافية والاجتماعية وكان لها تأثير على الجانب الفكري والثقافي من حيث منطلقاتهم الكتابية والأدبية ونظرتهم الخاصة إلى الحياة الاجتماعية ومن ذلك طرح التساؤل التالي:

ما طبيعة الكتابة النسوية الجزائرية وما دورها السوسيولوجي في تحليل القضايا الفكرية والاجتماعية ؟

ماهية الأدب الجزائري:

يقول الأستاذ عبد الله كنون: "إن دور الأدب في قضية الوحدة العربية دور عظيم فهو الذي يوحد مشاعر العرب ويربط بين قلوبهم برباط التعاطف ويوجههم إلى الوجهة الكفيلة بتحقيق مطامعهم وبلوغ آمالهم في السيادة والحياة الكريمة وقد كان للأدباء العرب منذ فجر النهضة الأثر المحمود في إذكاء روح الحمية والحفاظ على شعوبهم والتتديد بالاستعمار والتدخل الأجنبي حتى انتهى الأمر بتحديد البلاد العربية من السيطرة الأجنبية وما يزال الأدب العربي يواصل عمله في معركة البناء "

" (2)

¹ نفسه .

² محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 381.

"ويتفرد الأدب الجزائري الحديث بين مختلف آداب الشعوب العربية بمجموعة من الخصائص، فلما تجتمع في أدب واحد على مجرى التاريخ في مقدمة هذه السمات التي يتصف بها الأدب الجزائري هو ذلك التشابك المعقد بين تيارات ثلاثة جلبتها ورسختها الظروف التاريخية وهي التيارات البربرية والعربية والفرنسية، لغة وحضارة لقد ازدوجت في أحسن الأحوال ألسنة أدباء الجزائر وقلوبهم وتبلبلت في معظم الأحوال أفكارهم التي تراوحت بين الشد والجذب وبين المد والجزر (1).

وتفسر ملاحظة التي أبداهها الدكتور أبو قاسم سعد الله في كتابه "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" قائلا: أن "البطل" في الرواية الجزائرية ليس إلا شخصا عاديا ركز الكاتب فيه وعليه كل مشاعر المواطن انه ليس مثالا ولا نموذجا خارقا تتجسد فيه فكرة أو مبدأ عام وإنما هو إنسان واقعي فيه كل ما في الواقع من مأساة وحرارة وصراحة وليست له "مؤهلات خاصة ولا استعدادات خارقة" وكذلك تفسر لنا هذه الظاهرة إن الأدباء الجزائريين لم يمارسوا الأدب "تفرغا له" وإنما من خلال ركाम التجارب الهائلة والمختزنة التي صادفتهم في حياتهم اليومية حيث اشتغلوا بمختلف الحرف والمهن فجاءت معظم أعمالهم "سيرا شخصية" ويعمم هذه الفكرة د.سعد الله حيث يقول في كتابه: "إن أول عمل يكتبه أديب في شمال إفريقيا هو عادة ترجمة شخصية يفصح فيها عن انتمائه إلى عالمين مختلفين كما يعبر فيها عن ألمه من عدم استطاعته أن يجد مكانا في أي من هذين العالمين." (2)

¹ غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف بمصر، القاهرة، مصر، 1970، ص 143

² غالي شكري، المرجع السابق، ص 144-145.

وتقول د.سعاد خضر في كتابها: "الأدب الجزائري المعاصر" لقد تغنى كاتب ياسين بالثورة وبالجزائر ووصف بشاعة حرب الإبادة وعذابات السجون وعبر عن آمال وآلام شعبه بقوة لم يستطيع أحد قبله أو بعده أن يعبر بها (1).

وإن المقاومة هي النسيج الأساسي للأدب الروائي في الجزائر فان هناك 03 اتجاهات مختلفة تعبر عن رمز البطولة في المقاومة الجزائرية، أحدهما يغلب الدماء القديمة الأصلية والآخر يغلب الدماء الجديدة الوافدة والثالث يمزج بين هذه وتلك، ولكن الرواية الجزائرية لا تتوقف عند هذه الحدود، فهناك أدباء كبار لم يكفوا يوما عن المشاركة في العمل الوطني نضالا وفنيا حتى سقط أحدهم شهيدا غداة التحرير هو ملود فرعون ولقد كان نتائجه الأدبي وجهوده الفنية مع مولود معمري في إنقاذ التراث الجزائري وبخاصة الشعر البربري والأدب الشفوي للقبائل من أكبر الجهود الوطنية لبناء ثقافة جزائرية جديدة (2).

وفي دراسة أخرى تقول إن الجمال الأدبي هو تشكيل فني بالدرجة الأولى إذ تتحد فيه الأصوات والدلالات والوظائف حتى القارئ ينساب تلقائيا في هذا الكون الموار (3).

¹ نفس المرجع، ص 174 .

² نفس المرجع، ص 175.

³ العربي دحو، مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر، موفر للنشر، الجزائر، 2007، ص 171 .

وهذا ما يؤكد الجماليات الوظيفية للنص الشعبي ودوره في الثورة ود. سعد

الله يقول:

"الشعر الشعبي مهم من حيث تسجيله لمشاعر الناس ضد أو مع العثمانيين ومواقف الجهاد ضد العدو الخارجي وتطور الحياة الدينية فالعودة إلى الشعر ضرورة من ضرورات البحث ولكنه لا يدرس كنموذج أدنى أوفني نستشف من خلاله رقي الثقافة وسمو الذوق والمشاعر وركز التعبير والتصدير أو نستدل به على تقدم الشعوب" (1).

التحليل السوسيولوجي للأدب أو مدخل للدراسات السوسيولوجية للأدب:

إن الفهم العلمي الصحيح لكل الحركات الفكرية والسياسية والأدبية لابد من إن يستند إلى تحديد العلاقة بين الأفراد والجماعات الاجتماعية التي ينتمون إليها وأثر الخلفية التاريخية والاجتماعية على نشأة وتطور المشاريع الإبداعية الفردية حتى أن بعض كبار الباحثين المحدثين مثل لوسيان جولدمان يذهب إلى حد القول أن العمل الأدبي لا يعبر عن مؤلف فرد وإنما عن الجماعة التي ينتمي إليها الأديب ويعبر عن رؤيتها للعالم سواء بطريقة شعورية أو لا شعورية .

وخلاصة أنه يغير إتباع منهج التحليل الاجتماعي لن يتاح لنا أن نفهم مختلف الظواهر الأدبية ونستطيع بهذا الصدد أن نعتمد على الإطار المثلث

¹ العربي دحو، المرجع السابق، ص 178.

الجوانب الذي يرى عدد من الباحثين صلاحيته كإطار مرجعي للدراسة الاجتماعية للأدب وهو مكون من 03 مجالات:

1) دراسة المؤلف، 2) دراسة الأعمال الأدبية، 3) دراسة الجمهور (1)

وركز جولدان في كتابه الثاني، من أجل إنشاء علم الاجتماع للرواية "على المشكلات المتعددة التي تثيرها الرواية ومن المعروف إن عدیدا من نقاد الأدب سيق لهم أن اهتموا بالمضامين الاجتماعية للروايات المختلفة وركزوا اهتمامهم على صلة المضامين بالمجتمعات التي تعبر عنها وبالمراحل التاريخية التي تجرى أحداثها في ظلها ولكن الجديد الذي أتى به جولدان هو أنه ركز اهتمامه على الشكل الروائي نفسه وعلاقته بتاريخ الحياة الاقتصادية في المجتمعات الغربية." (2)

طبيعة الكتاب النسوية الجزائرية:

لقد تلقت المرأة الجزائرية تشجيعا على التعلم وتطوير حياتها الاجتماعية تشجيعا على التعلم وتطوير حياتها الاجتماعية... متجاوزة القيود التي تعيقها على النهضة والتطور، فتجاوبت آنذاك مع الحركة الإصلاحية النسوية الجزائرية والتي كان أعلامها أكثر التقافا إلى حال المرأة جوهريا لكن الملاحظ أن عبد الحميد بن باديس غير موقفة الأولى الذي كان اتجاها محافظا بقوله: "قالتي تلد لنا طيارا

¹ السيد يس، التحليل الاجتماعي للأدب، مكتبة الانجلو المصرية، 1970، القاهرة، مصر، 170.

² السيد يس، المرجع السابق، ص 25.

خير من التي تطير بنفسها" وسرعان ما حاذ عن هذا الرأي ليعتبر كيان المرأة جزء من مشروع معرفي حضاري " جدير بالانخراط في صنع القرار وبلورته.

فكان لابن باديس دورا رائدا في ترقية المرأة الجزائرية والاهتمام بشؤونها وفتح أقسام خاصة لتعليم البنات في مدرسة التربية والتعليم بمدينة قسنطينة وفي كل مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مستوى التراب كدار الحديث بتلمسان، مدرسة الفلاح بوهران، مدرسة التربية والتعليم، مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة.

فهذه الجهود كونت أدبيات وشاعرات ظهرت على الساحة الأدبية الفكرية وكانت تدعوا إلى ضرورة الاطلاع على مجريات الحياة والنظر فيها بالتعديل والتصحيح خاصة منها الظروف السياسية الاجتماعية بالإضافة إلى تكريس مبادئ التضحية البطولية الذي تميز به الفرد الجزائري حيث تقول: "زهور ونيسي" وقد كان لمادة التاريخ تاريخ بلادي بما فيه من تراث وآثار، تجارب، خيال هذا التاريخ هو الذي شدني إليه أكثر من أية مادة وتأثرها بما كان يحدث في المشرق العربي من تنظيم النوادي والمنتديات الأدبية وكذلك اطلاعها على الأعمال الأجنبية وتأثرها بها وتكون ممارستها بفعل الإبداع وسيلة من وسائل التحرر.

فتكون الكتابة الصادرة عن النساء تطلع إلى تغيير العالم أو إعادة تشكيله كفن "فتجتمع في المرأة خصوصيات تنفرد بها وهذا التميز يدعوها إلى البوح عنها

والكتابة أيضا فرصة لكشف تجارب فتقوم الكتابة بإخراجها إلى المدار العام فكانت علاجاً للوجع النفسي " للأُنثى " .

كل هذه العوامل ساعدت المرأة الكاتبة في تحقيق أشواط حيث صقلت كتابتها بخصوصيات منحتها التميز والانفراد كم ساهمت في تحديد طبيعة مواضيعها ولكم مجموعة من الكاتبات الجزائريات، آسيا جبار اسمها الحقيقي فاطمة الزهراء أملين شاعرة وروائية ولدت 1936 في قرية شرشال، تلقت تعليمها اللغة العربية والفرنسية، عرفت بروايتها الفرنسية منها.

- رواية العطش القنابر، الساذجة، القلقون، أطفال العالم الجديد، رواية الألف ليلة.
- أحلام مستغانمي شاعرة كاتبة جزائرية خريجة كلية آداب دكتورة علم الاجتماع من السوربون طرقت ميدان الصحافة تقربت من الإذاعة الجزائرية بهمسات شعرية ومن أهم ما صدر لها " ديوان الشعر " الكتابة في لحظة عري، أكاذيب سمكة.
- إنصاف عثمان عماري، لها ديوان الشعر: سمراء النيل، متخرجة من جامعة وهران، لها ديوان: "نبض الفؤاد " و "همس الكلام".
- جميلة خمار: لها قصة الباب المعلق والتي كانت 1985.
- جميلة دباش: لها رواية "عزيزة" ورواية " ليلي فتاة الجزائر " .
- جميلة زينير: معروفة بقصتها " دائرة الحلم والعواصف " .
- حليلة مدرس بوداود : لها كتاب معجزة حروف القرآن وكتاب الأم والتحدي.

- خيرة حمر العين: لها أشعار جمعتها تحت عنوان لم نشته قمرًا بالإضافة إلى عمل سابق لها "أكوام الجمر".
- رقية هجرس: لها مجموعة قصصية بعنوان أطباق قصصية.
- زبيدة البيطري: لها كتاب "ما أتسكن يا إخواني المسلمات".
- زكية علال: قصة "عروس إلى القبر" سنة 1996.
- زهرة بريح: ديوانها الشعري، "مدافئ العشق البارد".
- زهور ونيسي: من مواليد 1936 بمدينة قسنطينة لها العديد من المؤلفات في الرواية والقصة القصيرة: الرصيف النائم 1967 بالقاهرة القصص على الشاطئ الآخر، يوميات مدرسة حرة، رواية لونجة والغوال، رواية، قصص الظلال الممتدة، عجائز القمر بالإضافة إلى كتابات صحفية، مقالات اجتماعية أدبية في مختلف الصحف الوطنية.
- زوليخة خربوش: قصص "قصة الكرافاش، ملحمة النزيف غاب الحق، الجلباب الملعون، معجزات نوفمبر، زربية الأمل.
- زينب الأعرج: أشعار، "أنت يا شمس" أرفض أن يدجن الأطفال.
- شهرزاد زاعر: رواية، قرية تستقيظ في منتصف الليل أضافه إلى مخطوطات أخرى " زمن الورد " قصص طروحات في النقد والإبداع.

- عائشة ل.س: روايتين، محكمة الأصوات.
- سماء سمافي: اهتمت بالمرأة العربية.
- عمار كحليك قصص " جدارية لا تصحو "
- عمارية بلال: " أم سهام " أصدرت 05 كتب:
- 1. جولة مع القصيدة ن تأملات وخواطر في الشعر صدر 1986.
- 2. الرصيف البيروني: مجموعة قصص صدرت سنة 1986
- 3. شطايا النقد والأدب: مقالات ودراسات نقدية، صدرت سنة 1989.
- 4. يوميات أم علي: مجموعة قصص 1991.
- 5. زمن الحصار وزمن الولاية الجديدة بديوان الشعر.
- فاطمة العقون: لها رواية " رحيل وثلاث نساء "
- ليلي بن ذياب: تناولت هموم المرأة، حركة التعليم الأدب النسوي والقصة.
- ليلي العسلاوي.
- مارغريت طاووس عمروش، حكايات وأمثال قباتلية 1969، grain magique , maspero , paris , ولها رواية شارع الطبول، الزنيقة السوداء.
- نزيهة زاوي درار: " قصة الحكم والطفولة ".
- نسيمة بوليفة: مجموعة قصص قصيرة " الحديث الآخر ".

نورة سعدي: لها قصة "أقبية المدينة الهاربة" (1)

وطرحت إشكالية تعبير " النص النسائي " أو مصطلح الكتابة النسوية " الذين يعدان من أكثر المفاهيم جدلا ونقاشا لدى النقاد ذلك أن مصطلح الكتابة النسوية ينطوي على تأويلات وتفسيرات.

وان المرأة تعاني في حقل الكتابة أكثر من الرجل إذ ترى أن للإبداع بصورة عامة ضريبة يدفعها المبدع فما بالك إذا كان المبدع أنثى ؟ وتوضح روزا حسن أن الكاتبات دفعن أثمانا أخرى مباشرة كونهن نساء في هذا المجتمع العربي ويخضعن لمنظومة اجتماعية معينة.

وترى أن الملامح الأنثوية المنتجة للنص الأدبي لا تنقص من القيمة الفنية ويجب إلا أن تكون مقياسا الأدب بسببه إلى أدب نسوي وأدب ذكوري لأن ذلك عمليا لا يخدم القيمة الفنية للنص الأدبي المنتج بل هو تصنيف نظري أكثر (2).

ومن الواضح أن ولادة كاتبات للرواية العربية في الجزائر ارتبطت ارتباطا وثيقا بالوضع الثقافي في البلد إذ لم تظهر أول رواية نسائية اللغة العربية إلى الوجود إلا بعد الاستقلال بأكثر من عشر سنوات وهذا يعني أن هناك تحولا ما حدث في

¹ جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية دار النشر، دار الثقافة 2007 الجزائر، ص 142- 147
² الكتابة النسوية في الجزائر، تحد لقيود وتطلع إلى إثبات الذات، بقلم بشير خلف 04/11/2012.

وضع المرأة من خلال اكتسابها لعناصر وعي جعلتها تدرك قيمة التحرر المساواة وكسر تبعيتها لشطة الرجل وتعرضها لنمط جديد من الحياة بعد الاستقلال حظيت فيه الفتاة بالتعليم وإمكانات العمل ولقد برزت شاعرات مثل: مباشرة إلى الرواية كتعبير ذاتي فني لجأت إليه لتدعيم مطلبها في المجتمع زينب الأعوج وريبعة جلطي في السبعينات وقاصات مثل: جميلة زنير ثم كوكبة من الشاعرات والقاصات في الثمانينات إلى أن تصل إلى فترة أواخر التسعينات التي شهدت ولادة عدد لا بأس به من الكائنات في شتى الألوان الأدبية فبرزت نصيرة محمدي التي ظلت تقاوم من أواخر الثمانينات حتى لحقت بفترة تسهيلات النشر فنشرت أكثر من مجموعة في منتهى الجمال مثلها حبيبة محمدي وفاطمة شعلال وروائيات أهمهن ياسمينه صالح وزهرة ديك وشهرزاد زاعز وفضيلة الفاروق⁽¹⁾.

وهناك الرواية الجزائرية " مليكة مقدم " واهتمام الكاتبة بالصراع الطبقي في المجتمع الجراة في الطرح وتحطيم التابوهات، إذ تناولت قضايا الدين والجنس والسياسة وإبراز دور المرأة المتم لدور الرجل على المستويات جميعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

والكاتبة النسائية شغلت حيزا في النتائج الأدبي سواء أكان شعرا أم نثرا وكانت الوتر الحساس الذي يتأثر بحركة الواقع ويؤثر فيها ونجد من الروائيات الجزائريات

¹ فضيلة الفاروق، التجربة الإبداعية النسائية في الجزائر.

الموقع الالكتروني: [http:// www.ingdz.com /vb / showthread.php ? t=](http://www.ingdz.com/vb/showthread.php?t=)

أمثال: ليلي الصبار آسيا جبار " ملكة مقدم " وغيرهن ترى أنهن أعطوا اهتماما كبيرا للمرأة في كتابهن وكانوا أكثر تصويرا وتمجيذا (1).

المبحث الثاني: مواضيع الكتابة النسائية الجزائرية:

مما يرى في الكتابة النسائية أن معظمها تتضمن معالجة قضايا ذاتية واجتماعية وسياسية، تاريخية ثقافية، وسنتناول أهم المواضيع التي طرقتها المرأة.

المواضيع الذاتية: إن ما عانتها المرأة من إهانة وتهميش آخر لها هز فيها روح الحديث عن همومها وعن مشاكلها وتجسد ذلك في شكل من أشكال المناجاة والاعتراف حين يقول عبد القادر فيدروخ «سرف المبدعون طاقاتهم الإبداعية إلى ابتكار ضمائرهم وأسرارهم ومحاورة الصراع القائم بين وجودهم وعالمهم الداخلي، طلبا لإمكان وجود مسلك متألق يحددون به مسارهم في الحياة. الشخصية والعاطفة الداخلية كما جاء في قصيدة "أرقد ثانية في الحزن" لخيرة حمر العين تقول:

عندما تخبرني يداك بأني أصحو

ولا أسمع صوت العصافير ولا رنات الهاتف

أرقد ثانية في الحزن وانحني في لغتي

ابحث عن حنطتي يا سيدي

¹ سمراء جبابلي، صورة المرأة بين الواقع الجزائري وآفاق الكتابة النسائية له، 2013/10/19.

الموقع الالكتروني: [http // www.ahewar.org/ debat/ show](http://www.ahewar.org/debat/show)

في الشعر وحده يتعري وجه الريح

فهي أوجاع الأنوثة وآلامها تحت وطأة القهر والانكسار (إنها لوحة من نحت ورسم المرأة لنفسها لا علاقة لأي فنان..ولا وجود لأي مادة أو كأداة..في صنعها...).

أثبتت ذاتها الأنثوية وأضفت معنى وجودها إلى جانب معرفتها الذات الحقيقية والوصول إلى جوهرها الإنساني، كما أن استلاب الذات موضوع لقي حظه عند الكاتبة إذ تعمق شعورها به في المجتمع الذي رفض أن يسمح لها بإبراز كيائها المستقبل لكنها رفضت هذا الاعتداء وتصدت له بكشف أصالة الذات ومدى مساهمتها في تحقيق أعلى درجة لوجودها بالإفصاح عن هويتها وخصوصيتها (إنها تصارع ضعفها وخوفها كأنثى لكنها تبدو عنيدة متحدية من خلال ما تعبر عنه من مواقف وفض وتمرد وثورتها على الأوضاع السائدة)⁽¹⁾.

المواضيع السياسية: لقد كانت السياسة من العوامل المؤثرة على وضع المرأة، أنها تتفاعل معها دون أن تكون عنصرا فاعلا فيها لأن الجانب السياسي يبقى حكرا على الرجل وحده الأمر الذي حرك قريحة الكاتبة فخاضت في موضوعاتها بحيث نجدها: ترصد تأزمات الواقع السياسي لجزائر السبعينيات الذي شهد جملة من أوضاع متردية تواصلت إلى غاية الثمانينيات وهذا ما جسده ذاكرة الجسد "نحن نقف جميعا على بركان الوطن الذي ينفجر ولم يعد في وسعنا إلا أن نتوحد مع

¹ جعفر يايوش، المرجع السابق، ص 147 - 148.

الجمر المتطاير من فوهته وننسى نارنا الصغيرة.... (اليوم لا شيء يستحق تلك الأناقة والياقة، الوطن نفسه أصبح يخجل أن يبدو أمامنا في وضع غير لائق) نقارن بين جزائر الأمس أثناء فترة الاستعمار وجزائر اليوم مستقلة وكيف أن الأوضاع زادت في التآزم وتفاقت حيث إن بعض الأفراد الذين ناضلوا بالأمس من أجل تحرير الجزائر، الآن يلاقوا القهر وتعسف من قبل أهلهم كالذي لحق بهم من استعمار وأكثر. (فبدل أن تكرم المخلصين من أبنائها الذين أسهموا في صنعها قصد مقاومة المحتل وتحرير الجزائر فإنها تعد إلى امتنانهم بممارسة ذات أشكال العنف والاستلاب التي كانت تستهدفهم من قبل المستعمر فتكون الوجه الآخر له في زمن الحاضر ⁽¹⁾)

المواضيع الاجتماعية: قد حظي الجانب الاجتماعي باهتمام الكتابة فتطرقنا إليه مثل زهور ونيسي التي ترى (الفن هو علاقة تفاعل وانسجام ورفض بين الواقع والفنان، انه الصورة الطموحة التي يود أن يركن إليها الإنسان ومثال والفن الملتزم شعرا كان أو رسما أو نجما أو لحنا قيمته تتبع في مدى قدرته على الاستجابة لمتطلبات الشعب، مدى ارتباطه بحياة إنسان، بالأمة، بآماله، والفنان هو جسر أحدى ركيزتيه في الماضي والأخرى في المستقبل، ليرسم لوحاته الأصلية بآلامه من خلال الحاضر).

وبذلك التفتت الكاتبة الجزائرية إلى مجتمعها لترصد حالته وأوضاعه فهي تصور صورة المرأة الميسورة في ذاكرة الجد تمتثل حياة لأحلام المستغامي أما المرأة

¹ جعفر يايوش، المرجع السابق، ص 149.

الفقيرة التي تناضل من أجل ترقية مستواها الاجتماعي لتسهيل تعاملها مع الطبقة الراقية تجسد في قصة "الكرافاش لزوليخة خربوش" (عالجت فيها موضوع المرأة الفقيرة، يتقدم أحد الرجال للزواج منها فاجتهدت حتى تمكنت من اقتناء كرافاش ظنا منه انه يرفع من مستواها الاجتماعي ويسهل عليها الزواج والتعامل مع النسوة الثريات ودعوتها إلى الحفلات) تحدثت عن إكراه البنت على الزواج ممن لا ترغب فيه كابن العم أو شخص آخر -يحبذه الأب -...كما تجسد ذلك في كتابات زهور ونيسي، زوليخة خربوش وإسماعيل، وغيرهن من الكاتبات (1).

المواضيع التاريخية: إن الثورة أعظم حدث تاريخي عرفته الجزائر، هذه الثورة الكاسحة التي يعتز بها أبناء ذلك الجيل ومن بعدها، الأمر الذي طرح تساؤلات فرضت نفسها على جميع موهبتهم الإبداعية لتصوير بطولاتها ولامحها... إلى جانب أحداثها ووقائعها (الثورة الجزائرية هي واقع وفعل وانفجار أصدق وأبلغ من الحلم والخيال وأظم سحرا وشعرا من البلاغة والبيان)، بعدما وعت الكتابة أنها تحمل أمانة نحو وطنها سعت إلى تدرج مضامين هذا الحدث العظيم في كتاباتها.

كتصوير فلاحين مرددين لما لقوة من طغيان واستغلال، فلجنوا إلى الثورة باعتبارها وسيلة للخلاص والانعقاد إضافة إلى حالة المجاهدين وهم يتجمعون حول صحن واحد لاقتسام لقمة العيش من خبز وطعام تحضره لهم من عائلة لا تملك الأسرة الجزائرية، وكيف أنهم ينامون في غرفة واحدة، وهبت لهم من عائلة لا تملك إلا غرفتين أو ثلاث غرف رغم كثرة أفرادها كما تناولت تلك المرأة التي ذهب زوجها

¹ نفسه، ص 150 - 151.

وتركها في البيت بمفردها تعاني ويلات المستعمر ن لكنها تتصدى له بكل شجاعة وعزم حيث تصور ذلك زهور ونيسي في قصتها "فاطمة" تقول: (سرعان ما تجرأ أحدهم وقرب من فاطمة التي وقفت قرب الباب..... كان كالعجل الذب أبطره العلف وبعد ان كان لا يشبع أبدا فصدته فاطمة بعنف وابتعدت كمن أصابته لسعة نار حارقة إنها لجرأة كبيرة منه) وبذلك تجسد المرأة التي عاشت حقا ثورة نوفمبر بكل ما فيها من أبعاد وقد عالجت آسيا جبار موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة واكتشاف الجسد كما لمحت إلى صورة العجز التي تعاني الآلام والأحزان في صمت دائم لفقدان ابنها الوحيد جعلها منطوية في الوحدة.

انه تجسد المعلمة التي مارست النضال لتثبت دورها وتحديها للمستعمر الذي يعتبرها (كمية مهملة لا وجود لها داخل المجتمع). زيادة على أنها جعلت المدرسة مسرحا للنضال فقد (ساهم اندماجها في قلب المعركة ورفع معنويات الثوار وأكسبتهم الثقة في قرب ساعة النصر) (1).

أشكال الكتايب النسائيّ: لكل فن من الفنون أشكال وقوالب يصاغ عليها "والإبداع الأدبي يقوم بتجسيد تلك المكبوتات والتعبيرات في قوالب فنية أو ما يعرف بالأجناس الأدبية، فالنثر يتضمن الأشكال التالية: المقالة، القصة، الرواية وهناك الشعر بشكليه العمودي والحر. وبالرغم من إبداعات المرأة ظهرت متأخرة إلا أنها لم تترك شكلا من الأشكال إلا وطرقته، لقد تطورت كتاباتها النثرية تدريجيا بدءا من:

¹ جعفر يايوش، المرجع السابق، ص 152- 153 .

المقال: تعبر فيه عن رأيها تجاه موضوع ما، أو دعوة، توجيه سلوك إنسانية إلى الأفضل، وأولى مساهماتها في هذا الجنس كانت في 1954 حيث تمحورت في المقالات الاجتماعية والتي تناولت القضايا المذكورة سابقا، خاصة فيما يتعلق بالمرأة إذ نجد مقالا لزهور ونيسي بعنوان إلى الشباب (تدعوا فيه إلى ضرورة الاهتمام وتعليم المرأة وإعدادها للمشاركة في حركة التنمية) ومقال آخر بعنوان قيمة المرأة في المجتمع لصاحبه نادية خليفة وقد (صدر بجريدة البصائر ضمن العددين 297-298 ديسمبر 1954)⁽¹⁾.

الرواية: هي فن يسجل كل حياة وكل نبض من نبضاتها ويكون التعبير فيها عن حياة الشخص كلها أو جوانب متعددة في حياته، حيث يغلب عليها رسم الشخصية لا الموقف.

لقد ظهرت الرواية النسائية متأخرة عن الفنون التقليدية الأخرى نتيجة لممارستها الدائمة لها مما ولد لديها روح إبداع فن آخر أكثر حيوية ويتيح لها فرصة التعبير عن همومها الذاتية والاجتماعية التي كانت تعيشها أكثر مما يسمح بها الشعر والقصة ومن هنا لجأت الكاتبة إلى الرواية رغم أنها لم تكن تعرف كتابتها النظرية وأسسها ويتجلى ذلك لانعدام روايات في كل من الستينات والسبعينات والثمانينات لكن نتيجة تأثرها بالمشرقيات ومختلف الدول المغاربية ساعد على صدور روايات

¹ جعفر يايوش، المرجع السابق، ص 155.

منها (لونجة والغول) سنة 1993 لزهور ونيسي، "ذاكرة الجسد" 1993، "وفوضى الحواس" 1998 لأحلام مستغانمي وأخيرا "رجل وثلاث نساء" لفاطمة العقون⁽¹⁾.

المبحث الثالث: خصائص الكتابة النسائية:

التميز البيولوجي لها انعكس على تشكيل إنتاجها، حيث صقل بخصوصيات فريدة، فالعلاقة بين المرأة والكتابة إشكالية تجاوزت الآن المصطلح إلى البحث في الإبداع نفسه وهذا أفضى بنا إلى تساؤل جوهري:

هل يمكن إسقاط المفهوم النسائي لمجرد كاتبة امرأة أم هناك مواصفات تحدها مستويات: كاللغة... تقنيات الكتابة؟!

فهل تكتب المرأة فعلا بلغة مميزة ومتميزة؟ وإن كان كذلك! فما مواصفات لغة الأحشاء يا ترى؟ على حسب تعبير بارت، وللملاحظة فلم يكتشف ذلك إلا العارف بقواعد اللغة عندها وما يلمس لديها هو حضور العين في التقاط الصور والوقائع مصاغة في عمل فني أدبي، مخترق سجن اللامرئي لتمثلة في فضاءات الحلم، العجيب الهلوسات البصرية، تسبر الأغوار، ترفع الستار عن المبهم واللامرئي يرتع في حقل المحسوس والسيكولوجيا (فالعين الحدية تسكن المتن الروائي على هيئة لافئة حساسة جدا مقولها في صياغة فنية هي عبارات سردية - وصفية -).

¹ نفسه، ص 156 - 157.

فنشاط العين في العمل الفني يختلف عن نشاطها في عملية الإبصار الطبيعي نتيجة لضوابط فكرية شعورية وهذا لم يمنع من انتهاج التبئير فمن خلال ثلاثية أحلام مستغانمي نكتشف الحضور القوي لمقول العين، ومثول فنياته، وخصوصياته المؤنثة (المتمثل في عين التقنية، عين الثقافة والعدة المعرفية).

والآن نحاول البحث عن العلاقة العضوية التي سكنت الذات الرائية المؤنثة هذه التقنية المحايدة وكيف استطاعت بناء وتشكيل ما رأت الكاتبة؟ هوية الذات الرائية ؟ نتعرف إليها من خلال طرح السؤال التالي: من يرى كيف يرى ؟

لغز الأناشيد: فالراوي هو المتصرف في اقتصاد الحكاية يجمع بين الرؤية والكلام ويتم التعرف عليه من خلال الضمائر، ويكون المبرر الراوي هذا إذا سلمنا بمصطلح التخيل أما إذا رمنا الخروج عنه فيكون المبرر هو الكاتب نفسه. وبهذا نستنتج أن مقول العين هو الخطاب المرئي وقد تشكل في صيغة ملفوظ، أو مقول على مستوى الذال ويكمن مدلوله في مضمونه.

الرائع (ب) بين الكينونج وغياب الاسم:

يتخذ الرائي الراوي المتلفظ منزلة الحياد، صوت يتكلم في الخطاب لكنه غائب عن الحكاية، يتكلف بمهمة نقل مقول العين الرائية والمرئية ونحن لا ندري من هو، لا يمتلك اسما انه "الراوي المجهول" وصفة المجهول هذه اثبات لحالة وليس غياب

هوية (يوم العرس كان وجه فاطمة جميلا بدون تجميل، كانت تبتم بحياء، دون سخط، غيض، انه مصير كل الفتيات، الزوج ن الولد، كانت تبدو سعيدة...) (1)

أما إذا حاولنا الوقوف على طبيعة كتابتها فإننا نتوقف عند تجربتها وما تكسبه من معارف، انتماءات فكرية حيث يقول محمد برادة: "لا أستطيع ان أكتب أشياء لا أعيشها فالتمايز موجود على مستوى التمييز الوجودي."

إذا فكتاباتنا في معظمها ترجمة لتجربة شعورية وشواغل ذاتية من خلالها تبحث عن هويتها التي تراهما تتعرض للطمس والتشويه وبالتالي فهو أدب احترافات أساسه الاستنكار، التداعي بالغوص في عالم أنوثتهن وصبر أغواره في بعديها الشعوري -الجسدي- الاجتماعي... ببساطة هي أوجاع ذات في محرقه الأنوثة.

استعراض للصراع أو التنافر مع الآخر الذي يسهم في تفجير موهبتها، بالرغم من أنها خصائص قد يشاركها الرجل فيها إلا أنه يبقى للمرأة سرها في نقلها والإفصاح عنها وتقنية خاصة في تصويرها.

كما جاءت قريحتها أيضا بعاطفة الأمومة (لما تذكر ميمونة حلمها الأزرق، حلم الولد المنتظر في الأرحام تذهل كثيرا لبرودة لالا خيرة، أمام هذا الحديث تجدها تعكس الحديث وتحديثها رحمة بدل الاسم الذي اختارته ميمونة لولدها الحلم) (2).

¹ جعفر يابوش، المرجع السابق، ص 158 - 159.

² نفسه، ص 161.

الخاصة:

نخلص مما سبق إلى أنّ التميز البيولوجي للمرأة انعكس على تشكيل إنتاجها، حيث صقل بخصوصيات فريدة، فالعلاقة بين المرأة والكتابة إشكالية تجاوزت الآن المصطلح إلى البحث في الإبداع نفسه. وبالرغم من أن بعض الخصائص قد يشاركها الرجل فيها إلا أنه يبقى للمرأة سرها في نقلها والإفصاح عنها وتقنية خاصة في تصويرها.

قائمة المراجع:

1. [http:// www.ingdz.com /vb / showthread.php](http://www.ingdz.com/vb/showthread.php)
2. بشير خلف: الكتابة النسوية في الجزائر، تحد لقيود وتطلع إلى إثبات الذات، 2012/04/11 [http:// www. startimes.com / f.aspx ?!](http://www.startimes.com/f.aspx?!)
3. جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية دار النشر دار الثقافة 2007 الجزائر.
4. سمراء جبالي: صورة المرأة بين الواقع الجزائري وآفاق الكتابة النسائية لها، [http // www.ahewar.org/ debat/ show.2013/10/19](http://www.ahewar.org/debat/show.2013/10/19)
5. السيد يس، التحليل الاجتماعي للأدب، مكتبة الانجلو المصرية، 1970، القاهرة، مصر.
6. العربي دحو، مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر، موفر للنشر، الجزائر، 2007.
7. غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف بمصر، القاهرة، مصر، 1970.
8. فريدة بوران: حينما تتبثق الإشكالية من ثنايا الإبداع: الكتابة الأدبية النسوية الجزائرية، التاريخ السبت 2013/08/31، [maoiohbi cahtob joomlo](http://www-el.hakaek.com/index.php)، [http:// www-el.hakaek.com/index.php](http://www-el.hakaek.com/index.php) :
9. فضيلة الفاروق، التجربة الإبداعية النسائية في الجزائر.

10. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر عاصمة الثقافة العربية،
2007.